أثر السياق في دلالة الخروج المجازي لأسلوب النداء في النص القرآني

أ.م.دعزيز سليم القريشي

بسم الله الرحمن الرحيم

في النص القرآني دلالات لا تعد ولا تحصى مهما تعددت الدراسات واختلفت المشارب والآراء ؛ لأنه النبع المتجدد الذي ينثر عبيره ما طال الزمان .

والنداء بوصفه أسلوبا نحويا وبلاغيا شاع وروده في القران الكريم، قد تم تناوله من حيث الحقيقة العامة أو الخروج بالمعنى المجازي ، ولم يتم التركيز على أثر السياق في صنع ذلك الخروج ،على الرغم من أهمية هذا الموضوع ومدى خطورته، فهناك أشياء لا بد من التن

ويه بها تم اهمالها وعدم درسها : منها أن أداة النداء لا يمكن أن تقوم لوحدها بصنع الخروج بالمعنى المجازي ، وإنما يتحد السياق كله في صنع ذلك الخروج ، وقد تم في البحث المقدم بعونه تعالى وبما يسر الله للباحث من جهد بعد عونه تعالى التركيز على ذلك السياق من جوانب متعددة، ومن خلال البحث يتبين أنّ النداء لا يمكن أن يصنع الدلالة المجازية التي يراد بثها الى المتلقي وإنّما المجموع العام للجملة التي يأتي بها النداء بكل مكوناتها هو الذي يصنع الخروج المجازي ، وكذلك الدلالة المراد بثها هي التي تعضد الدلالة وتوسع من آفاقها، وبعبارة مختصرة يصبح النداء عبارة عن أداة تثير الانتباه للطرح المقدم الذي هو السياق الذي يقاس عليه خروج النداء المجازي ودلالته) .

وقبل الدخول في تفاصيل البحث لا بد من التعريف بإيجاز بالنداء بوصفه أسلوبا نحويا، وبابا من أبواب علم المعاني في البلاغة العربية .

النداء : هو تنبيه المخاطب أو المقبل ليقبل عليك بحرف ناب مناب الفعل (أدعو) لفظا وتقديرا[1].

أو هو طلب المنادى بأحد احرف النداء [٢].

والنداء في باب علم المعاني البلاغي لا يختلف عن تعريفه النحوي المتقدم ، و لا يتم إلا بأدوات يعرف بها ، هي: (الهمزة – أي – يا – وا – أيا – هيا ....) [٣].

ولكل أداة من هذه الأدوات دلالتها ، فالأداتان (الهمزة ، أي) تستعملان لمناداة الشخص القريب، والأدوات الأخرى تستعمل لنداء البعيد ، وقد ينادى البعيد بالقريب أو العكس وكل ذلك لدلالات مقصودة . [٤]

والاتصال بين البلاغة و النحو في باب النداء شيء لا يمكن اغفاله، لأنهما متلازمان في كشف الدلالة وهذا هو عبد القاهر الجرجاني يقول في حديثه عن نظرية النظم التي تقوم على فهم محاور الدلالة : ((واعلم ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على أصوله وقوانينه، وتعرف مناهجه فلا تزيغ عنها))[٥] ، ومن هذا الكلام يتبين مدى أهمية الجملة النحوية في باب البلاغة بل هي التي تقوم عليها الدلالة ، يقول تمام حسان : ((إنّ النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدعي لنفسه هذا لقسم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم المعاني حتى ليحسن في رأيي أنّ علم المعاني قمة الدراسة النحوية أو فلسفتها إن صح التعبير))[٦]

وقد جاء النداء في القران الكريم بأوجه متعددة وبدلالات متنوعة غير أنّ ماهية الدلالة لا تتكشف إلا عن طريق السياق الذي يعمل على سوق الدلالة وإركازها في ذهن المتلقي ولا يعني قولنا المتقدم أنّ السياق منفصل بأجزائه وإنما نأتي بالفصل لنقيم الحجة ونثبت الدليل. ويمكن الاشارة الى السياق في بيانه العام بان المعنى لا ينكشف الا عن طريق تنسيق الوحدات الدلالية التي تقع في نظم واحد ولا يمكن تحديد معاني الالفاظ الا بملاحظة الوحدات الاخرى التي تقع مجاورة لها*

الجمل وأثرها في دلالة النداء

والجمل أنواع متعددة منها الفعلية أو الأسمية أو الحكائية أو الشرطية أو الخبرية وكل له علاقة وثيقة بالسياق الذي يعمل على تفعيل دلالة النداء فمثلا، تأتي الجملة الحكائية (مقول القول) من قبل النص القرآني وذلك لوضع الإطار المجازي الأول للنداء ، مثل قوله تعالى: ((وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)) [٧] ومعنى قول اليهود لموسى عليه السلام :((لن نؤمن لك أي : لن نصدقك . يقال : آمن به وآمن له بدلالة قوله تعالى (قال فرعون آمنتم به) وفي موضع آخر : (آمنتم له) . والرؤية الإدراك بالبصر ، ثم يستعمل بمعنى العلم ، يقال رأى ببصره رؤية ، ورأى من الرأي رأيا ، ورأيت رؤيا حسنة . والرواء : المنظر في البهاء والجمال .والمرآة : التي ينظر فيها ، وجمعها المرائي . وتراءيت بالمرآة)) [٨]

فالنص القرآني يتمثل أمام القارىء ويضع اللبنة الأولى لماهية التعجب ، التي تتمثل من قبل عبارة(وإذ قلتم) وتأتي العبارة الحاملة لطلب اليهود((يا موسى.... نرى الله جهرة) لتضع الحد الأعلى للتعجب والتوبيخ. القائم وراء طلب اليهود لرؤية الله جل وعلا ولهذا فعبارة (قلتم) بمثابة الركيزة التي تعمل على التركيز وشد الذهن. ولهذا فقد كان لها العامل المساعد في الخروج المجازي.

إنّ التحفيز القرآني لا يتضح من خلال النداء فحسب وإنما الذي يحدده طبيعة السياق المطروح من خلال الجملة فنرى النص القرآني قد يضع ماهية التحفيز قبل أن يضع النداء كما في عبارة (ياأيها الذين آمنوا) التي تتقدم كثيرا في النداء القرآني كما ورد في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ) [٩] ومعنى قوله تعالى: ((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً » جيشا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنّهم يزحفون ، وهو مصدر زحف الصبيّ إذا دبّ على مقعدته قليلا قليلا سمّى به ، وجمع على زحوف وانتصابه على الحال من المفعول ، ويحتمل من الفاعل والمفعول معا .أي إذا لقيتموهم متزاحفين : يدنون إليكم وتدنون إليهم « فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبارَ » بالانهزام قيل : إنّها منسوخة والأظهر أنّها محكمة مخصوصة بما تقدّم من كون الكفّار على الضّعف أو أقلّ ، فيكون فيها دلالة على تحريم الفرار في هاتين الصورتين ، فلو زادوا على الضّعف جاز عملا بما تقدّم من آية التخفيف .)) [١٠] إن النص القرآني واقع في باب الجهاد والمقاتلة للأعداء وهو خارج الى التحفيز ولهذا فقد عمل على تكريس كل ما من

شأنه أن يصعد من الروح المعنوية للمسلمين والظاهر من عبارة(يا أيها الذين آمنوا) بداية التحفيز لأن الايمان يعني التضحية والصبر ولم يقل (يا أيها الذي أسلموا)؛ لأن الاسلام أقل درجة من الايمان؛ بدليل قوله تعالى : ((قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [١١] ، ثم إنّ الألفاظ كلها تتعانق من أجل اركاز ماهية الخروج المجازي للتحفيز مثل لفظة (زحفا) التي تحمل القوة والإصرار وكذلك (فلا تولوهم الأدبار) التي تقع في باب النهي الحقيقي الذي يمثل أقوى أنواع الطلب. ليتآزر سياق النص برمته في هيكلة إطار دلالة النداء الهادف للتحفيز.

وقد يشكل سياق الجملة الشرطية القرآنية أطر دلالة الاستفهام ويحدد معالمه كما في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)) [١٢] فالنداء الموجه إلى المؤمنين ورد في سياق التحذير غير أن الدلالة المتقدمة تتشكل من خلال الجملة الخبرية التي تليها فجملة النداء تضع المؤمنين إزاء موقف الحرب والمقابلة بين المشركين وبالتالي يتطلب ذلك شحذ الهمة ، وتأتي الجملة الشرطية التي تقوم على الإخبار لتضع التحذير والتخويف المترافق مع الإخبار الشرطي للمؤمنين (من يولهم دبره..... فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم) وهل غير ذلك من تحذير أكبر من غضب الله تعالى والوقوع في النار.

وقد يتعاضد الارشاد والتوجيه مع التحفيز ليشكلان دلالة مزدوجة والسياق هو الذي يقوم بتأطيرها والعمل على إقامة مفاصلها الدلالية ، ويكون السياق مؤلف من الجملة الخبرية التي تتآزر مع الأفعال لتكون الدلالة المراد بثها من النداء ،وذلك في قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا ا لَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)) [١٣] وقد ((روى عن مجاهد قال : مخرجا في الدنيا والآخرة، وفي أحد قولي ابن عباس والسدى :نجاة يوم القيامة)) [١٤].وقيل ((أي مخرجا .قال مجاهد : في قوله يوم الفرقان قال : يوم بدر ، فرق الله فيه بين الحق والباطل .قال أبو جعفر : والفرقان في اللغة : بمعنى الفرق ، يقال :فرقت بين الشيئين فرقا ، وفرقانا .)) [١٥].

والنص في دلالته المجازية خارج إلى الارشاد والتوجيه ، بيد أن الدلالة لا تتأطر في أداة ا لنداء وإنما تتأطر من خلال السياق الذي يعمل على تشكيلها، فيظهر أولا الشرط (إن تتقوا الله) الذي يوحي بالجزاء العامل على شحذ الهمة والتحفيز على المتابعة ، ثم يدخل الفعل(يجعل) الذي هو من أفعال التصيير، التي تعمل على تصعيد الهمة للتيقين من تمام الفعل الجزائي ليزيد التحفيز ثم لا يخفى من دلالة التخصيص من أثر في التحفيز والظاهرة من عبارة(يجعل لكم) ليجعل خصوصية الجزاء مرتبطة بخصوصية الاستجابة وفي ذلك مسحة من الإرشاد الممزوج مع التحفيز، ثم تتوالى حروف العطف والأفعال التي تتضمن الجزاء الموضوع أمام الاستجابة في (يجعل لكم فرقانا، يكفر سيئاتكم ، يغفر لكم) ثم تدخل الجملة الخبرية (والله ذو فضل عظيم) لتضع لحد الأعلى للتحفيز فوراء كل المحفزات المتقدمة عطاء الله الأعلى الذي قد تكون الجملة الخبرية حاملة له.

وللسياق السببي التفسيري الذي يبين ماهية النداء والأطر التي قامت وراءه كما في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)) [١٦] يقول جواد مغنية في معنى النجوى : ((والنجوى والمناجاة سر بين اثنين أو أكثر ، وأيضا تطلق على المتناجين مثل هم نجوى . وحسبهم كافيهم .)) [١٧]

أما في ((قوله : (نُهُوا عَنِ النَّجْوَى) فقال مجاهد : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى اليهود عن النجوى بينهم ، لأنّهم كانوا لا يتناجون إلاّ بما يسوء المؤمنين ، وقال الفراء : نزلت في المنافقين واليهود ، ونهوا أن يتناجوا إذا اجتمعوا مع المسلمين في موضع واحد ، والنجوى هو السرار ، .والنجوة الارتفاع من الأرض ، وهو الأصل ، ومنه النجا الارتفاع في السير ، والنجاة الارتفاع من البلاء ،قوله (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ قال: قتادة ومجاهد وهو المروي عن عائشة : انّه كانت تحيتهم السام عليك يا أبا القاسم ، وقال ابن عباس : كان المنافقون يقولون ذلك ، وقيل : كان النبيّ يرد على من قال ذلك فيقول : وعليك)) [١٨]

فالآية القرآنية داخلة في باب الإرشاد والتوجيه الذي يتم من خلاله توجيه المؤمنين إلى ما ينفعهم (البر والتقوى) وينهاهم عن الذي يسؤهم (التناجي بالآثم والعدوان) ويظهر الارشاد في إطاره

السببي الإقناعي من خلال السياق الخبري الذي يحمل الشيء المتقدم(إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) .

ومثل ذلك أيضا وقوع دلالة النداء في سياق الجملة الخبرية التي تهدف الى الكشف والإقناع، ومنه قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ)) (١٩)

فالنداء خارج في دلالته الى الإرشاد الممزوج بالتحذير من تولية المشركين على المؤمنين ويأتي السياق الإخباري ليكشف السبب (لا تتولوا قوما غضب الله عليهم...))

وقد تتعاضد الجملة الاستفهامية مع الجملة الخبرية في تكوين دلالة النداء القرآني كما في قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)) (٢٠) جاء في تفسير معالم التنزيل: ((كبر مقتا عند الله أن تقولوا) قوله (أن تقولوا) في موضع رفع كقولك بئس رجلا أخوك ومعنى الآية أي عظم ذلك في المقت والبغض عند الله أي إن الله يبغض بغضا شديدا أن تقولوا (ما لا تفعلون) أي تعدوا من أنفسكم شيئا ثم لم تفوا به (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) أي يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم (كأنهم بنيان مرصوص) قد رصّ بعضه ببعض أي ألزق بعضه ببعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل وقيل)) (٢١)

فدلالة النداء (يا أيها الذين آمنوا)) الارشادية الممزوجة بالتحذير لا يمكن أن تتشكل من غير الاستفهام القرآني (لم تقولون مالا تفعلون) التي تضع اللبنة الأولى للإرشاد الممزوج بالتحذير، وتدخل الجملة الخبرية(كبر مقتا أن تقولوا مالا تفعلون) لتشكل الحد الأعلى للدلالة المتقدمة من خلال الفعل (كبر) الدال على تفخيم الشيء وبالتالي تضخيم التحذير، فضلا عن ذلك فإن لفظة (مقتا) قد ضاعفت دلالة التحذير لأنها أدخلت الفعل في باب المقت .

وقد ترتبط الجملة الخبرية مع جملة الأمر لتساعدا على خلق دلالة النداء، ومن ذلك قوله تعالى : ((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)(٢٢)

تتقدم عبارة (يا بني اسرائيل) لتشكل النداء الذي يضع علامة التنبيه الأولى للطرح المقدم ، من دون أن تتشكل أي دلالة أخرى للنداء ، ثم تدخل جملة الأمر(اذكروا نعمتي) لتدخل وتمزج سياق و دلالة النداء مع دلالة الأمر التي تهدف الى (التذكير) بنعمة الله سبحانه وتعالى إلى بني اسرائيل لتزيح النص كله إلى السياق المجازي المتقدم(التذكير) ولا تلبث أن تدخل الجملة الخبرية ((إني فضلتكم على العالمين)) لتضع الحد الأعلى لماهية التذكير من خلال ماهية التفضيل .

وقد يأتي النداء في إطار جملة الأمر فلا يستطيع النداء ولا جملة الأمر في خلق الإطار الدلالي له وتكون الجملة الخبرية هي الكاشف السياقي للدلالة الندائية والمهيكل لأبعادها ، كما في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)) [٢٣].

والمعروف أن ((التحريض والتحضيض والتحريص بمعنى واحد وهو الترغيب والحثّ على الشيء ومدلول الآية الأولى أمر اللّه لرسوله أن يرغّب المؤمنين في القتال ووعدهم النصر على ذلك وإن كثر العدوّ حتّى يقاوم العشرة مائة ولفظه خبر ومعناه الأمر)) [٢٤] أي ((بالغ في حثّهم عليه . وأصله الحرض ، وهو أن ينهكه المرض حتّى يشفى – أي : يشرف – على الموت))[٢٥]

وقد يكون للجمل الاستفهامية الاثر الواضح في السياق الذي تتشكل على أساسه دلالة النداء المجازية كما في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ))(٥) فالنداء خارج الى التقريع ولم يتضح ذلك الا من خلال سياق الاستفهام(لم تؤذوني..) التي عملت على ايقاع بني اسرائيل في باب التقريع وذلك من خلال تلازم التحقيق واليقين في (قد تعلمون إني رسول الله إليكم)) اللذان يوقعان السياق في باب التقريع الأعلى فالعلم موجود بالنبوة ومتيقن وكذلك الإعراض والأذى.

اللفظ وأثره في خروج النداء المجازي

قبل الدخول في ماهية الموضوع لابد من الاشارة إلى أنّ اللفظ قد ورد كثيرا في النداء عن طريق الاسم وهو في مفهومه : الصوت الذي يشتمل على بعض الحروف تحقيقا أو تقديرا وهو ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمن مثل رجل وفرس[٢٦] وقد اطرد الرأي في مفهوم الكلمة أو اللفظة في كونها دالة على الشيء المستعمل أو غير المستعمل ((فاللفظ يعني مجموعة من الأصوات الانسانية أفادت أم لم تفد فإن لم تفد اللفظ فهو مهمل))[٢٧]

وأولا نتطرق إلى اللفظ حسب ما تقدم له من معنى ،إذ نرى أنّ هناك تأثيرا كبيرا للفظ وهذا الاستعمال في النداء يسمى خاصية العدول وله دلالات مقصودة ارادها القران الكريم تختلف فيه الدلالة القرآنية المقصودة في النداء ، ويظهر ذلك في استعمال الاسماء دون غيرها في النداء ، كما في استعمال لفظة (رب) بدلا من لفظ الجلالة (الله) لأنّ لفظة (رب) فيها إقرار للربوبية ونوع من التذلل لله سبحانه وتعالى ، و ذلك في قوله تعالى : ((رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)) [٢٨] فالخروج المجازي للآية الكريمة هي الدعاء والتلطف في الخطاب ، وقد كشف عن عمق التلطف في الخطاب لفظة (ربنا) التي أقرت بالربوبية والعبودية التامة ، وقد اسهم حذف حرف النداء في النص (يا ربنا) في شدة التلطف عن طريق كسر الحواجز التي تقف في طريق التذلل والعبودية ، وكذلك ما للفعل من تأثير في الخروج المجازي ؛ لأنّ الفعل (اغفر) هو فعل الدعاء هنا حال كون الغفران في ذلك اليوم العصيب[٢٩] والمتابع لهذه الآية القرآنية وسياقها السابق يرى هذه الدعوة السابعة للنبي إبراهيم عليه السلام ،وتكراره لهذه الدعوة رغبة في الإجابة وإظهارا للتذلل ،لأنه ختم دعاءه الخاشع بالاستغفار له ولوالديه وللمؤمنين جميعا [٣٠].

وأمثلة ما تقدم في الذكر الحكيم كثيرة وهي تسير في شدة التلطف ، ومنها قوله تعالى:((وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْـرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً)) [٣١] إذ انّ ماهية الإرشاد في تقديم الدعاء في لفظة (رب) التي تمثل الاسم النداء تتطلب الخضوع قبل تقديمه بدلالة الآية المتقدمة والفعل (قلْ) الهادف لضرورة التلطف والانقياد والإذعان في الدعاء ، ولهذا فالكلمة قد أخذت أثرا كبيرا في رفد الدلالة ، إذ انّ ((الكلمة تأخذ قيمتها النحوية من حيث موقعها في البنية العميقة)) [٣٢] و قد يصل التلطف في الدعاء مداه لأهمية اللفظ فيه وأثره الأكبر

ومثال ذلك خطاب المشرك لله سبحانه وتعالى يوم القيامة : ((قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً)) [٣٣] وتظهر شدة التلطف في الدعاء عند العاصي الذي يتيقن بوقوع العذاب وفيه نوع من التقرير؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى علل حصول العمى في الآخرة بالإعراض عن الدلائل في الدنيا ، ومثال ذلك ما جاء على لسان إبليس ،كما في قال تعالى : ((قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)) [٣٤]

إذ نرى التلطف في الدعاء منطلقا من حذف أداة النداء (يا رب) (من الربوبية) وكأنّ إبليس مقرّ بقرب الله سبحانه وتعالى وسطوته عليه، فضلا عن أنّ لفظة (رب) قد أعلنت الإذعان التام ، وكذلك لا يخفى ما للحرف النون وتكراره من تلطيف وهدوء في الخطاب يناسب موقف الخوف . وهذا ليس بعيدا عن أثر اللفظ والمفردة في خلق الدلالة ؛ إذ انّ ((الكلمة المفردة أهم الوحدات الدلالية لأنها تشكل أهم مستوى أساسي للوحدات الدلالية)) [٣٥] فقد تظهر لفظة النداء قادرة على خلق بعد ايحائي يقود للدلالة وتظهر طبيعة الانتقاء في الكلمة في النداء جلية في خطاب هارون لأخيه موسى (عليهما السلام) في قوله تعالى : ((قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي) [٣٦] لما ذهب موسى عليه السلام وترك هارون عليه السلام في قومه أغواهم السامري وصدهم عن الله سبحانه وتعالى فغضب النبي موسى عليه السلام واخذ بلحية أخيه وكان كثيف الشعر [٣٧] الأمر الموحي بشدة الألم الجسدي والنفسي ،فجاء النداء من باب التلطف والرفق غير أنّ لفظة (يا بن أمي) ((وهي كلمة استرحام واسترآف قالها لإسكات غضب موسى عليه السلام ، وقيل : خاطبه بذلك النداء ليدفعه عنه فيتركه))[٣٨] ، وهذه اللفظة قد هيكلت الإطار الأكبر للنص فلم يقل هارون عليه السلام لموسى عليه السلام (يا بن أبي) ؛ لأنّ الأم اكثر حنانا ورفقا من الأب . وكأنّما داعب بهذه اللفظة مشاعر الأخوة والرحمة في موسى عليه السلام .

وقد يكون للفظة أثرا كبيرا في رصد الدلالة الندائية المراد إيصالها، ومن ذلك دلالة الاستغاثة في قوله سبحانه وتعالى على لسان الكافرين : ((وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ)) [٣٩] إنّ دلالة تمني الموت والانعدام قد أصبحت طلب المجرمين في جهنم ليتخلصوا من العذاب الأليم [٤٠] ويظهر النداء في خروجه المجازي مخلوطا بين الاستغاثة والتبرم بدليل لفظة النداء الموجهة للمخاطب (يا مالك) الموحية بعدم التأدب في الخطاب ، ثم زادوا بعد ذلك (ربك) ولم يقولوا (ليقض علينا ربنا) وكأن الخطاب قد كشف عن حالة التبرم الناجمة من شدة الألم الشيء الذي وصل إلى مداه الأعلى من غير مراعاة لأصول التأدب في الخطاب . قال الأعمش : ((أنبئت أن

بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم إلف عام ، قال أدعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم))[٤١] وهذا القول حالة التبرم الناجمة من طول انتظار الاجابة مع المكوث في العذاب.

وللفظ القرآني أثر فاعل في اسقاط الجو النفسي الذي توحي به دلالة النداء ، فمثلا: في دلالة التضرع تحمل اللفظة اثرا كبيرا في إظهار تلك الدلالة وذلك في قوله تعالى على لسان الداعي لربه : ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[٤٢] إذ نرى أنّ الخروج المجازي للنداء واقع في باب الدعاء والتضرع ، والملاحظ أنّ استعمال لفظة(اللهم) عوضا عن (يا الله) قد أعطت النص القرآني نوعا من الهدوء المجتلب من الخشوع التام لله سبحانه وتعالى، وهذا الخشوع والانقياد التام بدليل(تؤتي الملك من تشاء) قد اسهم في تفعيل التضرع وتصعيد مستواه ليتناسب وعظمة الخالق سبحانه وتعالى.

وقد يخرج النداء القرآني للتقريع فيكون للفظ الأثر الكبير في ايقاع تلك الدلالة ومثال ذلك استعمال لفظة(أهل) في مخاطبة اليهود المنكرين لنبوة محمد(صلى الله عليه واله وسلم) وذلك في قوله تعالى((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَاللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ)) [٤٣] فإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيء كبير وذنب عظيم ، غير أنّ النص القرآني جاء بأسلوب التقريع عن طريق النص الندائي، وقد زادت لفظة (أهل) المرتبطة بلفظة (كتاب) من حدة التقريع ، فالنص يعترف بكون اليهود أهل رسالة وكتاب وسماوي وعلى الرغم من ذلك ينكرون ما أنزله الله سبحانه وتعالى والمفروض أنْ يكونوا أول من يؤمن به، لأنهم أهل كتاب سماوي منزل من الله ذكر محمدا صلى الله عليه واله وسلم ونبوته.

وقد تكرر المضمون المتقدم في آيات أخرى سارت في إطار الدلالة المتقدمة ومنها قوله تعالى:((يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهاً)) [٤٤] وكذلك قوله تعالى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ)) [٤٥] فنرى الخطاب في الآيات المتقدمة يقدم النداء إلى من هم أهل كتاب سماوي، ولا يخفى ما وراء ذلك من تحفيز لهم على الايمان والتصديق بنبوة محمد صلى الله عليه واله وسلم

ويأتي الاسم في النداء قادرا على جلب الجانب الاقناعي أو الجانب الارشادي أو التحفيزي عن طريق قدرتها على التمهيد للاستماع مثل استخدام عبارة (الذين آمنوا) التي تكررت في آيات قرآنية كثيرة في مسائل الدعوة المتنوعة التي تتضمن الحث على فعل شيء معين، ومنه قوله تعالى: ((أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) [٤٦]، فلفظة (الذين آمنوا) التي جاءت عن طريق النداء قد خلقت نوعا من التحفيز للاستماع إلى الطرح المقدم (أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ) فالمخاطبون هم مؤمنون وليسوا مسلمين فحسب والفرق في ذلك بين في الدرجة والمنزلة وكل ذلك يتواشج مع النداء في خروجه المجازي الهادف للإرشاد والتحفيز

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ)) [٤٧] ففيها شكّلت اللفظة المتقدمة (الذين آمنوا) المرتبطة بالنداء (يا أيها) أثرا كبيرا في الخروج المجازي الدال على التحفيز لأنّ فيها اقرارا بصفات الايمان لمن وجه لهم الخطاب ، ولا يخفى ما في ذلك من زيادة في تقرير واثبات حالة التحفيز. قال القرطبي: ((الأولى – قوله تعالى : (كونوا قوامين) (قوامين) بناء مبالغة ، أي ليتكرر منكم القيام بالقسط ، وهو العدل في شهادتكم على أنفسكم ، وشهادة المرء على نفسه إقراره بالحقوق عليها . ثم ذكر الوالدين لوجوب برهما وعظم قدرهما ، ثم ثنى بالأقربين إذ هم مظنة المودة والتعصب ، فكان الأجنبي من الناس أحرى أن يقام عليه بالقسط ويشهد عليه ، فجاء الكلام في السورة في حفظ حقوق الخلق في الأموال)) [٤٨] . فالنص قائم على التحفيز ،وقد كان وراء ذلك الألفاظ الموضوعة التي قادت للطرح المقدم للمتلقي.

وقد تعمل العبارة المتقدمة (يا أيها الذين آمنوا)٠ على الزيادة في التحذير كقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [٤٩] فالمؤمن هو أولى الناس بتقوى الله ؛ لأن الناس تمضي بسيرته وتقيس عليه.

وقد يأتي الاسم (المؤمنون) في باب التحذير المشوب بالمنع الداخل في النداء كقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [٥٠] والمعروف أنّ هذه الآية نزلت لتحذر المسلمين من مخاطر الخمر الذي يذهب

العقل، وقد جاءت عبارة (الذين آمنوا) لتناغم مشاعر الايمان التي تعلو بصاحبها عن شرب الخمر الذي يغيب العقل ويحط من قيمة الانسان.

ومن الأمثلة المتقدمة للفظة مدار البحث ما جاء في بيان كمال الطاعة لله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))[٥١] فطاعة الأب شيء فطري بيد أنّ الايمان بالله إذا وزن معها فإنّ الايمان بالله يرجح عليه فكيف به اذا تعارض معه لذا جاءت لفظة الايمان لتبين الطرح المقدم والفارق المهم.

وتأتي اللفظة المتقدمة في النداء للتأكيد على الركن المهم في الدين وهو الصلاة التي تتضمن الاقرار بالعبودية التامة لله وذلك في قوله تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)) [٥٢] فالبيع والتجارة والكسب شيء قد جبل عليه الانسان والله سبحانه وتعالى يلغيه أو يعطله أمام الصلاة ، ولما كان الأمر الذي حبب الكسب في النفوس شيئا مجبولا فيها جاءت اللفظة المتقدمة خاصة بالمؤمنين مع إنّها عامة وذلك لتحفيز المسلمين جميعهم على المداومة على الصلاة.

ويظهر كذلك أثر اللفظة في حرف السياق المجازي للنداء نحو الشيء المراد تقديمه ، بمعنى آخر فإنّ فيها اختيارية مقصودة وظهر ذلك في لفظة (قوم)المستخدمة في النداء كثيرا ومنها قوله تعالى: ((يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ)) [٥٣] فخطاب النبي لهم فيه نوع من التلازم والتقارب بينه وبين قومه، فلم يقل: (يا عباد الله) بل قال(يا قوم) وكأنما خاطبهم الملزومية التي ترجعه لهم من قبل النبوة وبعدها وهي أنّهم أهله وعشيرته.

ومثل ما تقدم في القرآن الكريم متنوع منه قوله: ((قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ)) [٥٤]وقوله تعالى ((وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)) [٥٥] الذي يظهر فيه فرعون مستعينا بالمقربين من أهله وعشيرتيه ليثبتوا ويقروا له بالملك.

وللاسم أثر كبير في قوة التحذير المنبثق من النداء القرآني عن طريق تجسيد عظمة المخاطب ليتناغم مع عظمة المطلوب ، كقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً)) (٥٦) فاستعمل النص القرآني اسم (النبي) وفيها تحفيز وتنبيه على عظمة الرسول صلى الله عليه واله وسلم وعظمة الأمر المنوط به بدليل عبارة(اتق الله) وذلك ليتم التركيز على أهمية الخطاب وهو عدم التهاون بأيّ حال من الاحوال مع الكافرين والالتزام التام بالأمر الالهي.

ونرى أنّ ذكر أسماء الأنبياء في النداء قد يصبح له أثره في تبيين ماهية الخروج المجازي وقد يخاطب بغير ذلك حسب واقع الحالة الموضوعة فمثلا: في خطاب الله سبحانه وتعالى للنبي محمد صلى الله عليه واله وسلم حينما تعرض للأذى الشديد في بداية الدعوة يخاطبه سبحانه بكنيته لا باسمه تخفيفا وتهوينا عليه، وذلك في قوله تعالى((طه{١} مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)) (٥٧) إذ لا يخفى ما في الاسم (طه) من هدوء ونغمية تتناسب وحالة التهوين والترويح عن النبي صلى الله عليه واله وسلم بدليل (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى).

ويظهر أثر الخروج المجازي في مخاطبة النبي موسى (عليه السلام) قومه في قوله تعالى: ((وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ)) (٥٨) فالملاحظ من الجملة الخبرية التي احتوت النداء (واذ قلت) أنها قد نصت على التوبيخ الخفي لليهود الذين طلبوا رؤية الله سبحانه وتعالى ، والأثر الذي يزيد من تجاوزهم هو مخاطبة النبي باسمه(يا موسى) وفي ذلك تجاوز على النبي . ويظهر ذلك أيضا في قوله تعالى : على وفق المضمون المتقدم في قوله تعالى : ((قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)) (٥٩) وكذلك تجسد الشيء المتقدم في قوله تعالى:((لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ)) (٦٠) وكذلك بقوله تعالى : ((قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)) (٦١).

ولو نظرنا إلى خطاب الله للأنبياء نجده قد يستعمل اسم النبي غير ذاكر لنبوته إذا تطلب الطرح ذلك في النداء، ومنه قوله تعالى :((وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي)) (٦٢) ((فالله سبحانه

يخاطب عيسى عليه السلام باسمه (يا عيسى) ولم يذكر النبوة وجعله انسانا مجردا لأنّ النص واقف أمام ادعاء النصارى بألوهية عيسى عليه السلام ؛ ولهذا ناداه سبحانه بالنداء المتقدم ليبعد الشك بألوهيته وذلك بكونه انسانا مثلهم.....و اختلف المفسرون في وقت وقوع هذا القول ، فقال السدي وغيره : لما رفع الله عيسى إلى السماء ، قالت النصارى ما قالت ، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك ، فسأله تعالى عن قولهم ، فقال : (سبحانك . . الآية ،))[٦٣]

وقد تأتي الرقة في الخطاب بالاسم المستعمل في النداء والذي يتناسب ويكشف عن علاقة معينة يراد بثها إلى المتلقي ، ويتضح ذلك في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام:((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)) [٦٤] فقال النبي يوسف عليه السلام يا(أبت) وليس(يا والدي) وفيها من التقرب والحب أكثر من التي في اللفظة الأولى بدليل جواب أبيه له ((قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)) [٦٥] وبدليل خطاب الأبناء الآخرين ليعقوب عليه السلام الذين يشعرون بالبعد عن أبيهم ((قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ)) [٦٦]

وجاءت في النداء القرآني ألفاظ قد كشفت عن الخروج المجازي قبل أوانه بل وعملت على تحديد أغلب أطره ودلالاته ، ويظهر ذلك في قوله تعالى :((قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ)) [٦٧] فلفظة (يا ويلنا) قد كشفت عن الندم الشديد الذي اعترى من قصر بحقوق الله ولم يؤمن به وانتهى أجله ولا لفظة اقدر على تشكيل الندم أكثر من اللفظة المتقدمة.

ويظهر أثر اللفظة الواحدة في كشف مدلولات الخروج المجازي للاستفهام كذلك في قوله تعالى((يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ)) [٦٨] فالخروج المجازي للآية هو التمني وقد جاءت لفظة (ليت) لتكشف عن ذلك المضمون وتؤطره بأوضح صوره.

ويشارك الاسم في النداء الخروج المجازي ودلالاته ، وتعمل على خلق أطرها ويظهر ذلك في الخطاب القرآني الموجه للرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم ، إذ نرى في مواقف التبليغ والشدة ويرتبط اسم (الرسول) في الخطاب أو(النبي) لمحمد صلى الله عليه واله وسلم وكأنها تركز ليس على شخصه الكريم وإنّما على مهمته ومن ذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [٦٩]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ) [٧٠] فجاء النداء مرتبطا في الآيتين الكريمتين بلفظة (الرسول) لأهمية الخطاب ؛ لأنه يقتضي الشدة والحزم في التبليغ ، والقوة في مجابهة المشركين ، ولهذا ارتبط النداء بالأسماء التي تصعد من جذوة القوة والنشاط في الرسول صلى الله عليه واله وسلم نفسه [٧١]

ويقف أمام ما تقدم خطاب النبي بالاسم بلفظة (طه)في الخروج المجازي الموحي بالترحم والتسرية في قوله تعالى: (طه{١} مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى{٢} إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى) [٧٢] و ((« طه : اسم من أسماء النبي (صلى الله عليه وآله) ، ومعناه : يا طالب الحق الهادي إليه)) [٧٣] إذ نرى النص القرآني الكريم ساعيا إلى استعمال النداء المتواشج مع مجازية التسرية عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم لـما لاقاه من مشركي قريش ، وبما أنّ ((الألفاظ تكشف عن الأسلوب في حالات وروده وطرق تكونه)) [٧٤] فلهذا جاء أولا حذف أداة النداء في (طه) وأصلها (يا طه) وذلك للإيحاء بقرب الله سبحانه وتعالى من نبيه صلى الله عليه واله وسلم ، وذلك ليصب في باب التسرية ،كذلك فإنّ العدول في النداء من (يا أيها الرسول أو يا أيها النبي)– كما بينت سابقا– واستخدام اسم (طه) الذي يحمل كنية الرسول صلى الله عليه واله وسلم وفيها نوع من التلطيف وجانب قادر على التسرية ؛ لما فيها من حرف مد قادر على إطالة الوقفة ، ولهذا يكون الاسم المتقدمة قد أسهم إسهاما فاعلا في الخروج المجازي للنداء.

ويظهر للفظ أثر كبير في رصد دلالة الخروج المجازي للنداء ، فبعد أن تقدم خطاب التسرية وان خطاب التسرية هو خطاب شائع في القران الكريم لم يختص به الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم وانما اختص به المؤمنين كذلك، نرى خطابا آخر يقف على الضد من الخطاب الأول ، إذ نرى فيه (شدة في التوجيه) ومنه قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [٧٥] اذ يأتي النداء في خروجه المجازي ليمزج بين العتب والإرشاد الذي فيه القوة الموجه للرسول صلى الله عليه واله وسلم بعد أن حرم على نفسه العسل بعد اتفاق نسائه على تكرهيه بالعسل بقولهن (إنا نشم منك ريح المعافير بعد أن أكل العسل عند حفصة) [٧٦] وتظهر قوة العتب لعدم قبولية التحريم فاسم (النبي) الذي نودي بها الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم واذا فرق عن اسم (طه) المتقدم قبلا وليس ذلك لعدم قرب الله منه وإنّما وصف النبي صلى الله عليه واله وسلم بهذا الخطاب والنداء دون اسم الرسول ،لاختصاص له في نفسه دون

غيره، وكذلك لأهمية الأمر ولضرورة التنبيه عليه و على شدة اللوم((وهو خطاب مشوب بعتاب لتحريمه صلى الله عليه واله وسلم بعض ما أحل الله سبحانه وتعالى له)) [٧٧] والاستفهام التالي للنداء (لما تحرم) خرج الآخر في باب العتب واللوم .

وقد يكون النداء موجها من الله سبحانه وتعالى للبشر ويختلف من وجه لآخر، فمرة (يا أيها الناس) ، وأخرى (يا عبادي)، و(يا أيها الذين امنوا) وتختلف طبيعة الاسم المستخدم بالنداء استنادا إلى خروجها المجازي ، ويظهر ذلك في قوله سبحانه وتعالى : ((يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ)) [٧٨] إذ انّ طلب الله – جلّ وعلا شأنه – عباده بأحسن الصفات (يا عباد) وفي ذلك دلالة للتشريف ، [٧٩] وبهذا أسهم اسم (عباد) في النداء على الإعلاء من شأن العباد وتشريفهم، اسهم في حيثيات الخروج المجازي . وكذلك في الخطاب تأمين لهم من كل مكروه محتمل أو مقطوع به ، فإنّ مورد الخوف المكروه والمحتمل ومورد الحزن المكروه المقطوع مرتفع عنهم ارتفاعا [٨٠]

وقد يأتي اسم (عبادي) في النداء في غير ذلك ، فيأتي مرتبطا بالتأنيب للذين عصوا الله سبحانه وتعالى ،وفيها نوع كبير من رفد النص بالتسرية ، وذلك في قوله تعالى : ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) [٨١] وقد نزلت في مشركي قريش الذين حاربوا الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم ، وقاوموا الدعوة الإسلامية ، وقتلوا أصحابه ، فظنوا أن الله لن يغفر لهم فعلتهم إن امنوا بعد ذلك لتدخل في باب التسرية التي خرج إليها النداء ، ولما كانت ((بعض الكلمات تكون أكثر استجابة من غيرها فتصبح كل منها معبرة))[٨٢] ولهذا فإنّ استعمال اسم (يا عبادي) في خطاب التسرية كان له عامل فاعل في خلق الخروج المجازي ويأتي خطاب الله سبحانه وتعالى (يا عبادي) لمن أسرف على نفسه كرسائل تطمين وتسرية تتحاور وتندمج مع الخروج المجازي((وأمره أن يدعوهم من قبله ويناديهم بلفظة يا عبادي وفيه تذكير بحجة الله سبحانه وتعالى على دعوتهم إلى عبادتهم لهم إلى استجابة الدعوة ،أما التذكير بالحجة فلأنه يشير إلى أنهم عباده وهو مولاهم ومن حق المولى على عبده أن يطيعه ويعبده فله أن يدعوه إلى طاعته وعبادته ، وأما ترغيبهم إلى استجابة الدعوة فلما فيه من الإضـافة إليه تعالى البـاعث لهم إلى التمسك بذيل الغفران ورحمته التي وسعت كل شيء)) [٨٣].

ويبدو التركيز على اللفظة وانتقائها ماثلا في ورود الياء في آخرها (عبادي) لما لحرف المد الياء من إطالة ومد يتناغم وحالة التسرية الأمر الذي تحذف فيه الياء من لفظة (يا عباد) في خطاب المؤمنين في قوله تعالى : ((قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)) [٨٤] ويبدو– والله اعلم – أنّ حرف الياء في (يا عبادي) قد حذف لأنّه يحمل المد والإطالة لأنّ الخطاب موجه للمؤمنين الذين ثبت ايمانهم بالله سبحانه وتعالى فلا حاجة للتسرية عنهم ، بل النص جاء في باب النصح والإرشاد . والمراد من ذلك أن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بأنْ يضموا إلى الإيمان والتقوى ، وأمرهم بالتقوى لكيلا يحبطوا إيمانهم [٨٥]

وللاسم في النداء أثر كبير في رصد الخروج المجازي لما يتركه في ذهن المخاطب من أثر مطلوب ، أو بمعنى آخر السعي إلى خلق المعنى الإيحائي الذي هو : ((ذلك النوع من المعنى الذي يتعلق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء نظرا لشفافيتها)) [٨٦] بمعنى آخر فإنّ ((الطابع الإيحائي البارز من أهم خصائص اللغة الأدبية ، وهو يمثل لونا من تعدد المعنى الدال الناجم عن وضع قيم متراكبة فوق الوظيفة الإعلامية)) [٨٧] ويبرز أثر الإيحاء القرآني المقصود من وراء النداء في آيتين قرآنيتين في سورة يوسف وهي في قوله تعالى : ((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)) [٨٨] فالنداء جاء بأداة النداء (الياء) التي تستخدم للقريب وذلك للإيحاء بأنّ يوسف (عليه السلام) أراد أن يشعر أباه بقربه ،وتتحدد ماهية الخطاب بدخول لفظة (يا أبت) وفيها نوع كبير من الإيحاء بالقرب ، كذلك فإنّ وقعها أخف من لفظة (يا أبي) فالتاء في (يا أبت) حرف همس تتناسب وشعور يوسف (عليه السلام) بالرضا من أبيه وقربه منه .

ونرى في مكان آخر خطاب إخوة يوسف (عليه السلام) لأبيهم ورغبتهم بخداعه والتحايل في إقناعه بإرسال يوسف (عليه السلام) معهم في قوله تعالى على لسانهم : ((قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ)) [٨٩] إذ تأتي لفظة (يا أبانا) فيها شفافية وإيحاء بعاطفة المحبة الزائفة وفيها إثارة للعطف والرحمة وإيثار المودة، والانقياد لأبيهم ؛ وما ذلك إلا محاولة منهم في استدراج النبي يعقوب (عليه السلام) لعاطفة الأبوة ؛ حتى يتمكنوا من تحقيق مكرهم ومأربهم في الكيد بيوسف (عليه السلام) [٩٠] قال المفسرون : ((لما أحكموا العزم ذكروا هذا الكلام واظهروا عند

أبيهم أنهم في غاية المحبة ليوسف ،وفي غاية الشفقة عليه ، ليستنزلوه عن رأيه في تخوفه منهم كأنهم قالوا: لم تخافنا عليه ونحن نحبه ونريد الخير به)[٩١].

وقد يتكرر اللفظ مع النداء للخروج المجازي ، كما ورد في قوله تعالى : ((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ وَ يَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ))[٩٢]

إنّ النص القرآني المتقدم ما هو إلا جواب من النبي نوح عليه السلام إلى قومه ، وإتمام الحجة عليهم ، وحجته مبنية على الحسن ونفي ما وراءه .

وقد أبدع الخالق سبحانه وتعالى بآياته الكريمة في تقرير حجته عليه السلام في جوابهم فقطعت حجتهم فصلا فصلا .

وقد جاءت الحجج مبدوءة بالخطاب مع تكرار اللفظ في قوله تعالى : (يا قوم) وهو خطاب في سياق دال على شدة الترحم والتلطف مع قومه وزيادة في ذلك من حذف ياء المتكلم الدالة على نسبه إلى قومه وخطابه بشكل مباشر لهم ، فان الملاحظ للنص القرآني انه جاء في سياق التلطف ومناصفتهم وبيان التلطف الإلهي للنبي عليه السلام ،فضلا عن تكرار اللفظ (قوم) وذلك زيادة في التأكيد والتنبيه على عظمة لطف رحمته جل وعلا شانه أولا، وكذلك ما جاء على وجه التقرير وهذا ما عمل به الاستفهام مع النداء في قوله : (أرايتهم) كأنه قال يا قومي إن هداني الله وأظلكم أأجبركم على الهدى وأنتم كارهون له ثانيا وثالثا الإنكار نبه على قومه (من ينصرني) والمعنى من يمنعني من عذاب الله سبحانه وتعالى ان طردتهم . وهذا ما عمل عليه أسلوب الخطاب المكرر لقومه الممزوج بالاستفهام الذي يدل على شدة الحرص والتلطف مع قومه

الفعل وأثره في خروج النداء المجازي

معروف أنّ الفعل هو حدث مقترن بزمان ،والفعل في النداء يأتي حاملا لأثر كبير في رفد دلالة الخروج المجازي ، ولا عجب في ذلك فالفعل هو جزء من كل البناء وإنّ ((كل مفردة في القران الكريم وضعت وضعا فنيا مقصودا)) [٩٣]

وقد يكون السياق مكونا من فعل الأمر المتكرر الذي يضع السياق الذي يخرج اليه أسلوب النداء القرآني ، كالآية التي تهدف الى التذكير الموجه لبني إسرائيل وذلك في قوله تعالى:(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ))[٩٤]

قال الطبرسي:((لما عم سبحانه جميع خلقه بالخطاب ، وذكر لهم الحجج على توحيده ، وعدد عليهم صنوف نعمائه خص بني إسرائيل عقيب ذلك بذكر ما أسداه إليهم من النعم ،فقال : (يبنى إسرائيل) وإسرائيل هو يعقوب لقب له ، ومعناه في لسانهم : صفوة الله ، وقيل : عبد الله (اذكروا نـعمتي التي أنعمت عليكم) أي : لا تخلوا بشكرها واستعظموها ، وأراد بالنعمة ما أنعم به على آبائهم من كثرة الأنبياء فيهم ، وإنجائهم من فرعون ، وغير ذلك مما عدده سبحانه عليهم))[٩٥]

فالنداء كان وراءه اثارة التنبيه الى الخطاب الموجه الى بني اسرائيل ، ويبدو أن السياق قد كشف عن الدلالات المراد بثها إلى المتلقي و ذلك من خلال أفعال الأمر (اذكروا نعمتي .،أوفوا بعهدي..) المراد بها التذكير الممزوج بالتحضيض، حتى يأتي الفعل الأخير(ارهبون) الذي يشكل الخط الجديد الخارج للتحذير وبهذا يشكل فعل الأمر وسياقه الإطار الذي يلم دلالة النداء التي أوقعت التنبيه المراد بثها الى المتلقي.

وللفعل أثر كبير في إسباغ الصبغة المجازية على النداء ، ويظهر ذلك في انتقائية اختيار الفعل الذي يعمل على رصد الدلالة المراد إيصالها ، ومنه قوله تعالى : ((قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً)) [٩٦] فالنداء خارج للدعاء والتضرع الممزوج بالألم انطلاقا من حذف أداة النداء (رب) للمسارعة وشدة الضيق الموحي بحال النبي زكريا (عليه السلام) وتقدم عمره وحرمانه من الابن ، وتأتي الأفعال في النداء لتعطي مدلولا بالضعف وذلك في الفعل (وهن) فلم يقل(ضعف)؛ وذلك لأن الوهن أشد من الضعف ، كذلك ارتباط لفظة (العظم) (بالوهن)

أعطى النداء مزيدا من الألم ، فلم يقل : (وهن الجسم) وإنّما (وهن العظم) ذلك ليعطي المبالغة القصوى في الضعف ، وكذلك الفعل (اشتعل) المرتبط بالرأس قد أعطى معنى الألم الصاخب لأنه شبه انتشار الشيب وكثرته باشتعال النار في الهشيم [٩٧] فلم يقل: (كثر شيب الرأس)لأنّ الاشتعال فيه ايحاء أكبر بالألم ،هذا وإنّ ((اختيارية الألفاظ وشكلها هو الذي زاد الوقع والأثر في المتلقي)) [٩٨]

وللافعال اثر كبير ليس في تجسيد الخروج المجازي وانما في رصد الدلالة الزمنية المتحركة التي تحمل دلالات متنوعة ، وقد يأتي الفعل في النداء للتجسيد ؛أي يعمل على خلق صورة عن طريق الفعل ، كما في قوله تعالى: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) [٩٩].

إنّ النص القرآني جاء على لسان لقمان الحكيم عليه السلام لابنه في النصح والإرشاد وفي إعطاء السيطرة التامة من الله سبحانه وتعالى ، ويأتي الفعل (تك) بدلا من (تكن) ليس لتقليل عظمة الله سبحانه وتعالى ، بل لتوسيع إحاطته وسيطرته فـ(تك)أتت للتقليل وعدم الأهمية والصغر ،لتعطي في النهاية الإيحاء العام بعظم السيطرة الإلهية حتى على أصـــغر الأشياء ، ولهذا فقد جاءت الكلمة اختيارية لتدل على ما قدر لها لأنّ ((الاستعمال القرآني وضع كل لفظة في مكانها المناسب فلا تحل لفظة محل أخرى من غير أن يتغير المعنى)) [١٠٠] و المعنى يقدر يا بني إنّها إن تك مثقال حبة من جنس الخردل كأن تكون في صخرة مستقرة في أغوار الأرض السحيقة يعلمها الله سبحانه وتعالى وهذا دليل على عظمته سبحانه وتعالى [١٠١]

وقد يخرج النداء القرآني للتحذير ، فيكون للفعل أثرا واضحا في توجيه الدلالة ، ولفت النظر إليها ، وذلك في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ))[١٠٢].

فالنداء في الآية المتقدمة خرج للتخويف والتهويل ، ويظهر أنّ الفعل (قو) قد أسهم في إسباغ جو الخوف والمسارعة فيه ؛ لأنّ الفعل (قو) مؤلف من حرفين (القاف – والواو) ومعروف أنّ القاف حرف قلقلة ذا تصويت عال ،والواو حرف مد ليتلازما في الفعل على إعطاء تصويت عال منسجم مع خطورة الموقف وجسامة العذاب ، ليبالغ في النهاية في طابع الخوف الذي خرج إليه النداء المجازي وهو أمر من الوقاية بمعنى حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره [١٠٣]

وقد يكون الفعل هو الأوحد في توجيه الدلالة في النداء ، كما في خروج النص القرآني للتحذير في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) [١٠٤].

إذ يأتي الفعل (احذروهم) ليعطي التصريح بالتحذير وليخرج النص كلّه على وفق ذلك ؛لأن الله سبحانه وتعالى يعد بعض الأولاد والأزواج عدوا للمؤمنين في إيمانهم ،إذ يحملونهم على ترك الإيمان بالله ،أو ترك بعض الأعمال الصالحة وهذا عمل على بيان دلالته الفعل [١٠٥].

وللأفعال أثر كبير في النداء ومن ذلك قوله تعالى في مخاطبة بني إسرائيل في إطار النصح والإرشاد : ((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)) [١٠٦] و يظهر النداء في قوله تعالى: (يا بني إسرائيل) كمقدمة واستفتاح للتنبيه على الشيء المقدم ليدخل النص في باب الإرشاد والتوجيه التي ظهرت جليه من خلال الأفعال (اذكروا – أوفوا – ارهبوا) بمعنى آخر فإنّ قوة الإرشاد قد تضاعف من خلال تكرار الأفعال التي جاءت بصيغة (افعل) التي فيها قوة وشدة ومتلائمة مع المراد والمطلوب وهو العهد والمعروف أنّ ((العهد هو الطاعة)) [١٠٧] ولذا فالطاعة للرب تعالى تتطلب التركيز من خلال النداء المفعل من خلال ما تقدم .

والمعروف أن أساليب الطلب النحوية قد تجتمع مع بعضها وتسهم في خلق حالة متوازية من الدلالات يكمل بعضها بعضا ، وقد يأتي النداء ليكون إرتكاز خروجه المجازي متكلا على الفعل وذلك كثير في النص القرآني ، كما في قوله تعالى : (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [١٠٨] إذ نرى الأفعال (أمر – وانه – اصبر) هي التي أسهمت الإسهام الأكبر في خلق مجازية النداء، إذ بدونها لا يصبح للنداء خروجه المتقدم .

وقد يأتي الفعل متقدما أمام اسلوب النداء فيعمل على تصعيد الخروج المجازي بل قد يضع اللبنة الأولى له وذلك في قوله تعالى :((فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)) [١٠٩] فالفعل اعتبروا) قد عمل على صنع التوجه الأقوى وهو الاعتبار والأمر فيه وبذلك تمهيد كبير لشد الذهن والارشاد لتقديم النصح الذي جاء بعد ذلك يا(أولي الابصار).

وقد يكون الخروج المجازي محصورا بالجمل الفعلية التي تهيكل أطره كما في قوله تعالى((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ)) (١١٠).

فالنص القرآني خارج الى التحذير والتوجيه ويعمل على فعل الشرط وجواب الشرط على وضع الأطر المحددة لماهية التحذير وأسبابه وعواقبه(ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم).

وللفعل اثر كبير في ماهية الخروج وزيادة أثره وقد يتعدد الفعل ليزيد من قوة الطرح المراد تقديمه لغرض بلاغي وذلك في قوله تعالى :((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (١١١) فالنداء مختص بالمؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) ليقدم نفسه ثم تدخل الأفعال (اصبروا ، صابروا ، رابطوا ، اتقوا) لتعطي ماهية الخروج المجازي ولتندمج مع النداء في قدرتها على التحفيز ولا يخفى ما في التكرار من أثر وقوة في الحث.

وقد تكررت هذه الظاهرة كثيرا في النداء لتسهم كثيرا في تفعيل الخروج المجازي وتعمل على تدعيم أثره ومن ذلك قوله تعالى :((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)) (١١٢) وقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (١١٣)

وقد يأتي الفعل ماضيا مع النداء القرآني ليسهم في تقرير الدلالة وإثباتها ؛ لأنّ الفعل الماضي فيه قدم وثبات وتحقق وذلك في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ)) (١١٤) فالنداء أراد التقرير بمجيء النصيحة ويبدو أنّ الفعل الماضي جاء ودل على المضي والثبات ليأتي بإثبات الحالة وتوكيدها ومثال ذلك كثير، ومنه قوله تعالى:((قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً{٥} فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً)) (١١٥) فتتقدم لفظة (ربي) للمسارعة ... ويظهر أنّ النداء يميل إلى الشكوى والتحسر الممزوج بالاعتذار المقدم من النبي نوح(عليه السلام) لعدم قدرته على هداية قومه ويأتي الفعل الماضي (دعوت) ليشكل بعدا زمنيا ماضيا غير حديث ليتم المبالغة في الاعتذار ولو جاءت الآية بالمضارع لما جاء المضمون المتقدم.

ومثال ما تقدم ما ورد في كلام نوح عليه السلام في قوله تعالى :((قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً)) [١١٦] وفيها دلالة المضي الممزوج بالحسرة الطالب للنصرة.

والفعل المضارع جاء في النداء القرآني ليبين الأثر الكبير في الخروج المجازي والفعل المضارع يعطي نوعا من الاستمرارية والتجسيد الذي يهيكل صورة الخروج المجازي ويحدد أطره ومن ذلك قوله تعالى :(({قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً)) [١١٧] فلفظة (تعالوا) قد تجاورت مع الخروج المجازي الموحي بالإقناع الهادئ الذي يناسب الطرح المراد به بث الدعوة ومدها.

ويعطي الفعل المضارع النداء نوعا كبيرا من التجسيد ويظـهر ذلك في قوله تعالى:((وَ يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ)) [١١٨]فتظهر فاعلية التعجب من النداء من خلال الأفعال(أدعوكم، تدعوني) ولا يخفى ما للفعل المضارع من قدرة على التجسيد مما يزيد النداء جسامة في التعجب هو الفارق بين دعوة الرجل الصالح للهداية والخير ودعوة قومه له بالهلاك والنار.

وقد يكون النهي هو الإطار العام لدلالة النداء مثال ذلك قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)) [١١٩] يقول مقاتل بن سليمان في تفسير الآية: ((لا تأكلوها إلا بحقها وهو الرجل يجحد حق أخيه المسلم ، أو يقتطعه بيمينه ، ثم استثنى ما استفضل الرجل من مال أخيه من التجارة ، فلا بأس ، فقال سبحانه : (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم) ، يقول : لا يقتل بعضكم بعضا ؛ لأنكم أهل دين واحد ، (إن الله كان بكم رحيما) [آية : ٢٩] ، إذ نهى عن ذلك ، (ومن يفعل ذلك) ، يعني الدماء والأموال جميعا ، (عدوانا وظلما) ، يعني اعتداء بغير حق وظلما لأخيه)) [١٢٠] فالنداء خارج للنهي الممزوج بالتحذير، بيد أن دلالة النداء لا تتشكل من خلال أداة النداء بل من النهي الذي يضع الحد الأعلى للتحذير ((لا تأكلوا أموالكم بينكم) والمعروف أن النهي هو أقوى أدوات الطلب ، وبهذا يكون التحذير المتشكل في النداء على أعلى مراحله.

وقد تتشكل دلالة النداء من خلال النهي الممزوج بالتحذير كما في قوله تعالى :((

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا)) [١٢١] فالنداء قام بالقاء الجانب التنبيهي للطرح المقدم و أن النهي قد أركز الدلالة المراد ايصالها للمتلقي.

وقد يجتمع الأمر والنهي كسياق متحد يتعاضد من أجل اخراج دلالة النداء ' كما في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)) [١٢٢]

((يعني جل ثناؤه بقوله : (يا أيها الذين آمنوا): يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، فيما جاءهم به من عند ربهم ، (إذا ضربتم في سبيل الله) يقول : إذا سرتم مسيرا لجهاد أعدائكم (فتبينوا)

يقول : فتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره ، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره ، ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره ، ولا تتقدموا على قتل أحد الا على قتل من علمتموه يقينا حربا لكم ولله ولرسوله . (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) يقول : ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم ، مظهرا لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم))[١٢٣]

فالنداء المتقدم موجه إلى الذين آمنوا في باب التوجيه والإرشاد بيد أن دلالته لا تتكشف الا من خلال جملة الأمر (تبينوا) وجملة النهي (ولا تقولوا لمن ألقى عليكم السلام..) اللتان تتحدان وتشكلان الإطار العام لدلالة النداء المراد بثها الى المتلقي. إذ نرى أن فعل الأمر يضع الحد الأولى(تبينوا) الهدف الأول المراد إيصاله من خلال التوجيه، أما النهي فيشكل الحد الأعلى للتوجيه (لا تقولوا) لأنه جاء بصيغة النهي التي هي من أقوي صيغ الطلب.

وقد تتكاتف جمل الأمر مع جملة النهي والجملة الخبرية في خلق السياق الذي يعمل على كشف دلالة النداء وذلك في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ(٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ(٢١)إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ))[١٢٤]

النداء في دلالته خارج الى الارشاد والتوجيه الممزوج بالتحذير، ويظهر أن الدلالة المجازية لا تظهر من خلال النداء بل تتشكل من خلال المجموع المتكامل الذي تتكاتف فيه الدلالات ، فيأتي فعل الأمر((أطيعوا) الموجه للمؤمنين ليضع اللبنة الأولى للتوجيه والتحصن الإيماني المرتبط بطاعة الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه واله وسلم ويدخل النهي (ولا تولوا، ولا تكونوا) الحامل للتحذير الممزوج بالإرشاد ، ثم يختم النص القرآني بالجملة الخبرية ((إن شر الدواب عند الله الصم البكم) لتتشاكل مع ماهية الارشاد الممزوج بالتحذير من الوقوع في شاكلة الصم البكم الذي لا يرتضيه المؤمن لنفسه ، ومن خلال ما تقدم يتضح وضوحا تاما أن النص القرآني كيان مترابط يكمل بعضه بعضا ، والنداء لا يتشكل في دلالاته مالم يتعاون السياق الخبري أو الفعلي أو اللفظي أو غيره في تبين أطره وتشكيله

السياق الصوتي واثره في دلالة النداء

وللحرف أثر كبير وفاعل في الخروج المجازي للنداء ؛ لأنّ في الحرف يتم الحفاظ على التماسك النصي ، وإعطاء انسيابية نغمية عبر التجانس اللفظي وإيحاءاته [١٢٥] ومن ذلك التجانس في الحروف القرآنية وصولا لإظهار دلالة الخروج المجازي من خلال سطوة وهيمنة الحرف وجرسه الموحي بدلالة مقصودة ، ومن ذلك قوله تعالى: ((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)) [١٢٦]. وجملة (([يا أَبَتِ]) أصله يا أبي أو أصله يا أبتا فحذف الياء أو الألف ولمّا كثرت هذه الكلمة في كلام العرب ألزموها الحذف والقلب ولذا قرئ بفتح التاء وبكسرها.)) [١٢٧]

فالملاحظ أنّ طبيعة الرؤيا وأهميتها قد دعت يوسف (عليه السلام) أن يجلب كل انتباه والده إليها من خلال جلب الحروف القادرة على إيصال مضمون الرسالة فحرف الراء الانفجاري قد تكرر لأربع مرات ليعلن أهمية الشيء المقدم من خلال تصويته العالي، وكذلك فإنّ مجيء حرف المد لست مرات قد اسهم في إعطاء امتداد ذي طابع انفجاري عال إيذانا بأهمية الطرح المقدم .

إن النص القرآني في النداء قد يبرز على وفق خط إيقاعي يوصل للدلالة عن طريق الحروف هذا، وللدلالات الصوتية تأثير كبير في توجيه النص الأدبي في دلالاته [١٢٨] ويتضح ذلك في قوله تعالى: ((قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ)) [١٢٩] الآية الكريمة في خروجها المجازي واقعة في باب التطمين المشوب بالمكر والخداع في إقناع نبي الله يعقوب (عليه السلام) بإرسال النبي يوسف (عليه السلام) معهم ليكيدوا به ، وتأتي الحروف لتتناغم مع السياق المتقدم ، وتعمل على تأطيره ، إذ تكرار حرف النون لأربع مرات ولا يخفى ما لهذا الحرف من قدرة على إثارة غنة تعمل على مداعبة مشاعر الأبوة عند النبي يعقوب (عليه السلام) وصولا لإقناعه بإرسال النبي يوسف (عليه السلام) كذلك تكرار حرف المد تسع مرات قد أعطى النص امتدادا نغميا هادئا على بسط أسلوبية التطمين .

ويظهر للحرف في النداء اثر كبير في الخروج المجازي ، ومن ذلك قوله تعالى : (يس{١} وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ{٢} إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ{٣} عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{٤}) [١٣٠] فالخروج المجازي جاء في باب التطمين والتثبيت على قلب الرسول الكريم صلى الله عليه واله وسلم ، وهذه السورة تحمل معاني رمزية ألقاها الله سبحانه وتعالى إلى رسوله صلى الله عليه واله وسلم ،وكانت سورة (طه) مبتدئة بخطاب النبي وكذلك (يس) [١٣١] ويبدو سياق الأحرف قد ساعد كثيرا في بسط هيمنة التطمين ، إذ تكرر حرف الراء ذو التصويت العالي لأربع مرات مرتبطا بحرف المد الذي تكررت لست مرات ليكون الناتج تطمينا عاليا وممتد وهذه فاعلية الحروف الصوتية ((فالكلمات يمكن أن تخضع للبواعث المحركة لها فتصبح شفافة أو معتمة ويتم هذا على مستويات صوتية ودلالية)) [١٣٢]

وقد يكون للحرف والفعل الأثر الأكبر في إظهار الدلالة المجازية المراد بثها الى المتلقي ، ومن ذلك الخطاب القرآني الموجه للنبي محمد صلى الله عليه واله وسلم في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ{١} قُمْ فَأَنذِرْ{٢} وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ{٣} وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ{٤} وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ{٥})) [١٣٣] فالخروج المجازي للنداء واقع في باب التحفيز ورفع الهمة الموجه للنبي محمد صلى الله عليه واله وسلم ، وقد أظهرت صيغة (افعل) أثرا كبيرا في تقوية الخطاب وكذلك فان تكرار حرف الراء الانفجاري واستمرارية تواصله قد أسهم على تصعيد جذوة النص التي تقود للحماس والهمة وهذه السورة تتضمن أمر النبي بالإنذار في سياق يلوح منه كونه من أوامر بعثه ثم الإشارة إلى عظم هذا الشأن الذي يؤديه حرف الراء

وقد يكون التشديد في الحروف وسيلة في إيصال الدلالة على اعتبار ((أن النحو وسيلة تكملية وفيه تترابط الكلمات والصيغ الصرفية ذات العلاقات المحدودة بالأسلوب)) [١٣٤] ومن ذلك قوله تعالى على لسان النبي نوح عليه السلام في موقف التضرع : (وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) [١٣٥] إذ يظهر التضرع في أول النص من حذف أداة النداء (رب) واصلها (يا رب) للإيحاء بالقرب والمسارعة ، ويأتي التضرع ممثلا مداه الأعلى في التشديد على الحرف (ربي) و (انه من أهلي) و (إنّ وعدك الحق) وان وراء هذا التشديد – والله أعلم – دلالة موحية بشدة التضرع، ولما به من الوجد والحزن رفع صوته بالدعاء، ولم يقل : سال أو قال أو دعا ورفع الصوت بالاستغاثة من المضطر الذي اشتد به الضر وهاج به الوجد أمر طبيعي والدعاء أغنى نداء نوح عليه السلام ربه يقول البيضاوي:. ((فإنه النداء (وإن وعدك الحق) وإن كل وعد

تعده حق لا يتطرق إليه الخلف وقد وعدت أن تنجي أهلي فما حاله أو فما له لم ينج ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه (وأنت أحكم الحاكمين) لأنك اعلمهم وأعدلهم أو لأنك أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع (قال يا نوح إنه ليس من أهلك) *لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار إليه بقوله : (إنه عمل غير صالح) فإنه تعليل لنفي كونه من أهله وأصله إنه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة (ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي اقبال وادبار) ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفها وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب (إنه عمل غير صالح) أي عمل عملا غير صالح))[١٣٦]

وقد يأتي تأثير الحرف في النداء كبيرا ومؤثرا في الخروج المجازي وظهر ذلك في قوله تعالى: ((نَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)) [١٣٧] فالنداء خارج للتقرير، وحرف الاستفهام (الهمزة) في (أليس) قد أسهم اسهاما فاعلا في إثبات حالة التقرير وإركازها، لقصرها وقدرتها على إثارة التساؤل المفضي للتقرير.

وقد يأتي الحرف ليعطي الامتداد النغمي القادر على الاحاطة بالإطار المجازي للنداء و أمثلة ذلك كثيرة منها قوله تعالى :((رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً)) [١٣٨] فالنبي زكريا عليه السلام يخاطب الله– جل وعلا –بخطاب ندائي (رب) يتبطن في داخله الشكوى الكبيرة من كبر السن وعدم الحصول على ابن ، ويظهر أنّ الذي بين خاصية الشكوى وفعل أثرها هو تكرار حرف(النون) لخمس مرات . مع التشديد. ولا يخفى ما لحرف(النون) من قدرة على إثارة الحزن لذا هو وكما سمي نواة الحزن، كذلك فإنّ تكرار حرف المد (الياء) قد ساعد على تطويل وقفة الحزن لما له من خاصية الامتداد.

وظاهرة تكرار الحرف في النداء كثيرة في القرآن الكريم وهي تكشف عن ما تتضمنه النفس من احساسات ومن ذلك قوله تعالى: ((قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)) [١٣٩] فالخروج المجازي للنداء في(يا ولتنا) قد كان واقعا في باب التحسر الممزوج بالرهبة، ويظهر أنّ تكرار حرف (النون) الموحي بشدة الحزن والمرتبط بحروف المد المتكررة قد أسهم في رصد ماهية الخروج المجازي وقولبتها.

وأثر الحرف بين في الخروج المجازي فقد يكون الطرح من الأهمية إذ يتطلب تصويتا عاليا، كما في قوله تعالى : ((اعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)) [١٤٠] فالخروج المجازي قائم على التذكير والاعتبار ، ولما كان الاعتبار يحتاج إلى قوة في الطرح جاء حرف الـراء في (اعتبروا، أبصار) حرفا انفجاريا قادرا على شد المتلقي الى أهمية الطرح وتنبيهه وحثه .

ويظهر أثر الحرف في مواقف الشدة والتقريع كبيرا في النداء القرآني، ومنه قوله تعالى : ((وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ)) [١٤١] فالخروج المجازي للنداء واقع في باب الترهيب والوعيد، ويأتي حرف(الزاي) في(امتازوا) ليشكل تصويتا عاليا ؛ لأنّ الحرف المتقدم من حروف الصفير، وكذلك فمجيء حرف الراء في(المجرمون) قد صعد من الوعيد والترهيب ؛لأنه حرف انفجاري يحمل تصويتا عاليا متناسبا مع الطرح المقدم.

ويبدو الحرف في النداء القرآني متناغما مع المواقف التي تتطلب انتباها من المخاطب ، كما في رفع الهمة في قوله تعالى مخاطبا نبيه ابراهيم عليه السلام: ((وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ{١٠٤} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)) [١٤٢] فالموقف الندائي القرآني يدعوا إلى الانتباه والتركيز ؛ لأنه واقع في باب رفع الهمة للنبي ابراهيم(ع) لتصديقه بأمر الله وتنفيذه ولهذا جاء حرف المد(الألف) في(ناديناه، ابراهيم ، الرؤيا) ليعمل على تصعيد الصوت المتناسب ورفع الهمة والثناء على النبي لالتزامه بأمر الله سبحانه وتعالى .

النتائج التي توصل لها البحث

١. النداء وهو من أساليب النحو التركيبية التي طالما قد تكررت في القرآن الكريم، ولا عجب في ذلك لما لها من أهمية كبير ة والتي تأتي من قدرتها على التنبيه الذي يهدف النص القرآني الى اركازه في ذهن المتلقي.

٢. أدوات النداء على الرغم من كثرتها الا أنها لم تكشف عن الوجه الحقيقي لدلالة النداء بقدر ما كان للسياق من أثر كبير في الكشف عن ذلك. ولذلك فالسياق هو المعول الكبير في الكشف عن الدلالة.

٣. للجمل أثر كبير في الدلالة والجمل على أنواع منها الخبرية ، ومنها الفعلية ومنها الاسمية ومنها الشرطية، ولكل من هذه الجمل أدوات خاصة وسياقات تعمل على قولبة الإطار المجازي للنداء وتعمل على صنع دلالاته المراد بثها الى المتلقي.

٤. للأفعال أثر كبير في صنع دلالة النداء من خلال السياق الذي يأتي به وقد يصبح الفعل بمثابة السياق الذي يكنه الدلالة ويعمل على ايقاعها في ذهن المتلقي.

٥. النهي صيغة من صيغ الطلب وهي أقواها لأنها تفيد التأبيد ، وعندما تأتي في سياق النداء تضع الجانب المهم الذي يعمل النداء على بسط الفرش والتمهيد له.

٦. كذلك للحروف اثر كبير في السياق تعمل على رفع حالة الخروج المجازي وتساعد على ايصاله.

٧. قد تجتمع الكينات المتقدمة جميعا وتساعد بعضها في ايقاع دلالة النداء.

٨. القرآن الكريم هو مادة اعجازية وبيان عال لا يمكن أن يأتي في حرف أو تقديم أو تأخير مالم يكن له سببية ودلالة مراد ايصالها.

الملخص

عنوان البحث(السياق وأثره الدلالي في الخروج المجازي لأسلوب النداء القرآني) والنداء من الأساليب النحوية التي تدخل في باب علم المعاني ، وقد ورد هذا الأسلوب بكثرة في القرآن الكريم وقد درس من جوانب بلاغية ومجازية بيد أن المسألة التي تم إهمالها هي التركيز على مسألة غاية في الأهمية وهي أنّ الدلالة التي يبثها النداء لا تكون من خلال حرف النداء ، بل الذي يصنعها ويعمل على قولبتها السياق الذي تجيء به ، والسياق يتنوع بين الجمل على اختلاف أنواعها :الشرطية ،أو الخبرية ،أو الفعلية ،أو الاسمية ، وقد يكون السياق في هيمنته مبنيا على تصويت الحروف ، أو قد يكون السياق مؤلفا من أساليب طلب أخرى كالاستفهام أو الأمر أو النهي فيكون النداء بمثابة الممهد والباسط لطريق الدلالة المراد القائها من خلال الأساليب المتقدمة، وقد تتداخل هذه الأساليب وتتعاضد لتشكل سياق نداء قادر على كشف الدلالة المراد بثها إلى المتلقي.

الهوامش

[١] ينظر: شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الاستربادي ١/ ٣٤٤، وشرح المفصل في النحو ، موفق الدين بن يعيش،: ١٢/٢، معاني النحو: ٥٤٣. ٥٤٥ وينظر: التراكيب اللغوية في اللغة العربية ،د.هادي نهر: ٢٧٨.

[٢] ينظر: علم المعاني ، بسيوني الفتاح فيود: ٣٠٣. وينظر: مدخل الى البلاغة العربية ، السيد أحمد خليل: ٨٤.

[٣] ينظر: المفصل الزمخشري، ٧٢/٢، وشرح المفصل، ابن يعيش: ٢/ ١٥.

[٤] ينظر: علم المعاني ، د.بسيوني عبد الفتاح :٣٠٣، و علوم البلاغة ، المراغي:٦٩،مدخل الى البلاغة العربية ، :٨٤.

[٥] دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني: ٩٤ .

[٦] اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان:١٨ .

*ينظر: علم الدلالة احمد مختار:٦٨ والسياق ودلالته في توجيه المعنى:٥٦

[٧] الانعام:٥٥.

[٨] تفسير مجمع البيان ،الطبرسي: ٢٢٠ .

[٩] الانعام: ١٥

[١٠] مالك الافهام في آيات الاحكام، الجواد الكاظمي:٣٣٣ .

[١١] الحجرات : ١٤ .

[١٢] المجادلة: ٩-١٠

[١٣] الانعام/ ٢٢ .

[١٤] تفسير القران العظيم٠٠ تفسير أبي حاتم، أبي حاتم/ ٥ /١٦٨٦:

[١٥] معاني القرآن ،للنحاس، ١٤٧/٣

[١٦] النساء: ٤٣.

[١٧] التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية. ٧/ ٢٦٧.

[١٨] المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان (موسوعة ابن إدريس الحلي):٢٤٢/٣

[١٩] الممتحنة: ١٣ .

[٢٠] الصف: ٣.

[٢١] معالم التنزيل فى تفسير القرآن (تفسير البغوي)' البغوي :٣٧٣/٤

[٢٢] الانعام: ٤٧.

[٢٣] الانعام: ٦٥.

[٢٤] كنز العرفان في فقه القرآن، المقداد النيسابوري: ١/ ٣٥٨.

[٢٥] زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني،: ٣/٦٠ .

[٢٦] ينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد نجيب اللبدي: ٢٠٥ .

[٢٧] كتاب المورد، دراسات في اللغة ، د. نعمة رحيم العزاوي: ١٤٨ .

[٢٨] ابراهيم /٤١.

[٢٩] ينظر: الميزان، الطباطبائي:١٤ /١٥٧.

[٣٠] ينظر اعراب القرآن وبيانه:٤/١٦١ .

[٣١] الاسراء/٨٠.

[٣٢] الالسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، د. ميشال زكريا: ١٨.

[٣٣] طه:١٢٥.

[٣٤] طه ٧٩.

[٣٥] علم الدلالة ، أحمد مختار:٣٣.

[٣٦] طه:٩٤.

[٣٧] ينظر: تفسير الكشاف الزمخشري، ٦/ ٢٥٤.

[٣٨] الكشاف:٢/٢٥٥ .

[٣٩] الزخرف:٧٧.

[٤٠] ينظر: تفسير الميزان،الطبطبائي:١٨/ ١٢٣.

[٤١] ينظر: اعراب القران الكريم وبيانه، محي الدين درويش : ٧/ ١٠٧ .

[٤٢] آل عمران : ٢٦.

[٤٣] آل عمران: ٩٨.

[٤٤] النساء:٤٧ .

[٤٥] المائدة :١٥.

[٤٦] المائدة:١.

[٤٧] النساء: ١٣٥ .

[٤٨] الجامع لأحكام القران تفسير القرطبي، ، القرطبي ،:/ ٦١٧ .

[٤٩] المائدة: ٣٥ .

[٥٠] المائدة: ٩٠

[٥١] التوبة: ٢٣ .

(٥٢) الجمعة : ٩ .

(٥٣) المائدة : ٢١ .

(٥٤) الاعراف : ٦٥ .

(٥٥) الزخرف :٥١

(٥٦) الاحزاب:١ .

(٥٧) طه:١.

(٥٨) البقرة : ٥٥ .

(٥٩) المائدة : ٢٤ .

(٦٠) الاعراف: ١٣٤ ..

(٦١) هود: ٣٧.

(٦٢) المائدة: ١١٦

(٦٣) جواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)تحقيق : الدكتور عبد الفتاح أبو سنة – الشيخ علي محمد معوض – والشيخ عادل : ٤٤٠

(٦٤) يوسف: ٤.

(٦٥) يوسف/: ٥

(٦٦) يوسف:١١.

(٦٧) القلم : ٣١

(٦٨) الحاقة : ٢٧..

(٦٩) المائدة : ٦٧ .

(٧٠) المائدة / ٤١.

(٧١) ينظر : التفسير الكبير ، الرازي: ٦/ ٤١٦. وروح المعاني : الشيخ المفيد ،: ٣٢٩. و بحار الأنور، المجلسي: ١١/ ٤١.

(٧٢) طه : ١-٣

(٧٣) التبيان في تفسير القرآن ،المؤلف : الشيخ الطوسي : ٧ / ٧٤٨

(٧٤) الأسلوب ، دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الاسلوبية ببعض الظاهرات النحوية، د. محمد عبد الله جبر:٣١.

(٧٥) التحريم: ١.

(٧٦) ينظر: تفسير الثعالبي، الثعالبي : ٩ / ٢٤٣ . ٢٤٥ .

(٧٧) تفسير البيضاوي، البيضاوي:٢/ ٣٥٤ ..

(٧٨) الزخرف : ٦٨ .

(٧٩) ينظر: روح المعاني:٢٥/٩٧ .

(٨٠) ينظر: الميزان:٨/ ٩٩ .

(٨١) الزمر: ٥٣.

(٨٢) النحو والدلالة ، د. محمد حماسة: ٥٠.

(٨٣) الميزان:١٧/٢٢٦.

(٨٤) الزمر: ١٠.

(٨٥) ينظر: التفسير الكبير:٢٦/ ٢٢١ .

(٨٦) علم الدلالة ، د. أحمد مختار: ٣٩.

(٨٧) علم الأسلوب ، د. صلاح فضل: ١٦٢ .

(٨٨) يوسف: ٤.

(٨٩) ينظر: الميزان: ١١/ ٨٣.

(٩٠) ينظر: الميزان : ٨٣/١١

(٩١) صفوة التفاسير : ٤٣/٢ ، وينظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ١٦٤/٣ وتفسير ابن كثير : ٤٤٤/٢ والميزان: ١٥٩/٨

(٩٢) هود: ١١ .

(٩٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل السامرائي: ٦.

(٩٤) البقرة: ٤٠ .

(٩٥) تفسير جامع الجوامع، الطبرسي: ١ / ٩٨ .

(٩٦) مريم : ٤.

(٩٧) ينظر: صفوة التفاسير :٢/٢١١ .

(٩٨) الموزنات الصوتية في الرؤية البلاغية ، د. محمد السمري : ٤٣.

(٩٩) لقمان : ١٦.

(١٠٠) الخوف الفاظه وسياقاته في القران الكريم ، د. أحمد جواد العتابي:٦.

(١٠١) ينظر اعراب القرآن الكريم وبيانه:٦/٩١.

(١٠٢) التحريم:٦.

(١٠٣) ينظر: الميزان:١٩:/ ٣٠٣ .

(١٠٤) التغابن: ١٤.

(١٠٥) ينظر: الميزان: ٢٧٣/١٩..

(١٠٦) النساء : ٧١

(١٠٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي): ٢٦٩/١.

(١٠٨) لقمان : ١٧.

(١٠٩) الحشر:٢

(١١٠) آل عمران:١٤٩.

(١١١) آل عمران : ٢٠٠

(١١٢) النساء: ٥٩ .

(١١٣) المائدة: ٣٥ .

(١١٤) يونس : ٥٧ .

(١١٥) نوح : ٥-٦ .

(١١٦) نوح : ٢١ .

(١١٧) آل عمران: ٦٤.

(١١٨) غافر: ٤١ .

(١١٩) النساء: ٢٩.

(١٢٠) تفسير بن مقاتل، سليمان بن مقاتل: ١ /٢٢٦ .

(١٢١) الأنفال ١٥: ،١٦.

(١٢٢) النساء: ٩٤ .

(١٢٣) جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري: ٥ / ٣٠٠ .

(١٢٤) الانعام: ٢٢ .

(١٢٥) ينظر جرس الألفاظ ، د. ماهر مهدي هلال : ٤٣.

(١٢٦) يوسف: ٤.

(١٢٧) تفسير مقتنيات الدرر ،المؤلف : مير سيد علي الحائري : ٦ /٤.

(١٢٨) ينظر: نظرية البنائية في النقد الادبي ، د. صلاح فضل: ٧١.

(١٢٩) يوسف : ١١

(١٣٠) يس: ١-٤ .

(١٣١) ينظر: الميزان:٥٣/١٧ ..

(١٣٢) علم الاسلوب ، صلاح فضل : ١٦١.

(١٣٣) المدثر : ١ . ٥ .

(١٣٤) الاسلوب والنحو: ١٨.

(١٣٥) هود : ٤٥ .

(١٣٦) تفسير البيضاو: ٣/ ٢٣٧ .

(١٣٧) الزخرف: ٥١

(١٣٨) مريم: ٤ .

(١٣٩) يس: ٥٢

(١٤٠) الحشر : ٢ .

(١٤١) يس: ٥٩

(١٤٢) الصافات :١٠٤-١٠٥

المصادر والمراجع

. القرآن الكريم

ـ الاسلوبية والنحو ، دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية، د. محمد عبد الله جبر، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٩ . ١٩٨٨م .

. إعراب القران الكريم وبيانه تأليف الأستاذ محيي الدين درويش /مطبعة سليمان زاده/ ط٢ ،١٤٢٨ هـ.

. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦م .

ـ *بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، (ت ١١١١هـ)طبع ونشر مؤسسة الوفاء ، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.*

. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي، ت(٤٥٠هـ) دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٢ ، ٢٠٠٧م.

. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، ط٥، ٢٠٠٨م .

. البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني ، د. فضل حسن عباس، مكتبة الحسن للنشر والتوزيع، ط٢، عمان١٩٨٩م.

ـ التراكيب اللغوية في العربية دراسة تطبيقية ، د. هادي نهر، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره، مطبعة الارشاد ، بغداد، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧م.

. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن محمد مخلوف أبي زيد الثعالبي، ت(٨٧٥هـ) ، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة، والشيخ علي محمد عوض، والشيخ عادل عبد الموجود، دار احياء التراث العربي بيروت، ط١ ، ١٤١٨هـ . .

_ تفسير جوامع الجامع المؤلف، : الشيخ الطبرسي ،ت(: ٥٤٨) تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي : الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

ـ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)،المؤلف : ابن أبي حاتم الرازيت : ٣٢٧هـ ،تحقيق : أسعد محمد الطبيب ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ـ التفسير الكاشف ،المؤلف : محمد جواد مغنية ،الوفاة : ١٤٠٠، هـ ،سنة الطبع : آذار (مارس) ١٩٨١،الناشر : دار العلم للملايين – بيروت – لبنان، : دار العلم للملايين – بيروت – لبنان.

. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن علي الرازي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٣،

ـ. تفسير مجمع البيان ،المؤلف : الشيخ الطبرسي ت : ٥٤٨هـ : تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين الطبعة : الأولى الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان ،١٩٩٥ م.

ـ تفسير مقاتل بن سليمان ،المؤلف : مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) تحقيق: أحمد فريد، الطبعة : الأولى ،الناشر : دار الكتب العلمية ٢٠٠٣م.

. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،المؤلف : محمد بن جرير الطبري ،ت : ٣١٠ هـ ، تقديم : الشيخ خليل الميس / ضبط وتوثيق وتخريج : صدقي جميل العطار ، ،الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ،الكتاب سنة الطبع : ١٤١٥ – ١٩٩٥ م .

. جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، د. ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، بغداد، ١٩٨٠م.

. الخوف الفاظه وسياقاته في القرآن الكريم ، دراسة لغوية، د. أحمد جواد العتابي، منشورات ديوان الوقف الشيعي، بغداد ،١٤٣٢ هـ ٢٠١١م.

. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تقديم علي أبو زيقه، للنشر، الجزائر، ١٩٩١ م.

. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني أبو الفضل ، شهاب الدين السيد محمود الالوسي، البغدادي، قاربها على المطبوعة النيرية وعلق عليها محمد أحمد الامر، وعمر عبد السلامي ، منشورات احياء التراث العربي،

_السياق ودلالته في توجيه المعنى/فوزي ابراهيم عبد الرزاق /رسالة دكتوراه– كلية الاداب جامعة بغداد– ١٩٩٢م

. شرح الرضي على الكافية ، محمد بن الحسن الرضي الاستربادي، ت(٦٨٨هـ) تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، ط٢، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ايران. ١٣٨٢هـ

. شرح المفصل في النحو، موفق الدين بن يعيش، منشورات عالم الكتب، بيروت، د. ت.

صفوت التفاسير / تأليف محمد علي صابوني / دار القران الكريم بيروت / ط٤ ١٩٨١م.

ـ علم الاسلوب ، مبادئه واجراءاته، د. صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة ، ط١، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م.

. علم الدلالة ، أحمد مختار عمر، منشورات عالم الكتب القاهرة ، ط٥، ١٩٩٨م.

. علم المعاني ، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ،د. بسيوني عبد الفتاح فيود، نشر مشترك بين مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ودار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، الاحساء ، ط٢، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.

. علوم البلاغة ، البيان والمعاني والبديع ، د. أحمد مصطفى المراغي، منشورات ، دار الآفاق، العربية، ط١، القاهرة، ١٤٠٠هـ .

. كتاب المورد، دارسات في اللغة، د. نعمه رحيم العزاوي، وزارة الثقافة العامة، وزارة الاعلام والثقافة مع مؤسسة الرسالة، بيروت. د. ت، ط١، ١٩٨٦م .

. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله الزمخشري ،دار الفكر ، ط١، ١٩٨٣م.

– كنز العرفان في فقه القرآن ،المؤلف : المقداد النسابوري ،الوفاة : ٨٢٦هـ ،تحقيق : علق عليه المحقق البارع حجة الاسلام الشيخ محمد باقر (شريف زاده) وأشرف على تصحيحه واخراج أحاديثه محمد باقر البهبودي ،الناشر : المكتبة الرضوية – طهران ،عنيت بنشره المكتبة المرتضوية – طهران ، ١٣٤٣هـ.

ـ اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان، ، منشورات البعثة المصرية للكتاب،

،ط٢ ، ١٩٧٩م.

. اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،د.ت .

. المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، السيد أحمد خليل ،دار النهضة ، للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م .

ـ مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام ،المؤلف : الجواد الكاظم ، علق عليه وأخرج أحاديثه : الشيخ محمد باقر شريف زاده – أشرف على تصحيحه السيد محمد تقي الكشفي ،المطبعة ،عنيت بنشره المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، د.ت

ـ معالم التنزيل فى تفسير القرآن (تفسير البغوي) ،المؤلف : البغوي : ت : ٥١٠ هـ ،تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ، ،الناشر : دار المعرفة بيروت.
ـ معاني القرآن ،المؤلف : النحاس ،ت : ٣٣٨ هـ ،تحقيق : الشيخ محمد علي الصابوني ،الطبعة : الأولى ، الناشر : جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٩هـ .
. معاني النحو د. فاضل صالح السامرائي، بيت الحكمة للنشر، والتوزيع والترجمة، ساعدت جامعة بغداد على نشره . د.ت

ـ معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، محمد سمير نجيب اللبدي ، طبعة دار الثقافة الجزائر، د. ت.

. المفصل ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ت(٥٣٧هـ) تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي ، القاهرة ، د. ت.

ـ المقتضب، أبو العباس المبرد، ت(٢٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عيضة، القاهرة، ١٣٧٦هـ . .

ـ المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان ،المؤلف : ابن إدريس الحلي ،(ت : ٥٩٨)، : تحقيق: السيد مهدي الرجائي ، إشراف: السيد محمود المرعشي ،: مطبعة سيد الشهداء عليه السلام ١٤٠٩ هـ .،

. الموزنات الصوتية في الرؤية البلاغية ، د. محمد السمري، منشورات دار سال، ط١، الدار البيضاء ، ١٩٩١م.

. الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطبطبائي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ، ط١، .مؤسسة دار التاريخ العربي ، بيروت، ١٩٩٩م.

ـ النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د .محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق ، ط٢، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م .

. نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.